الفصل الثاني

الأصول التاريخية
لتربية المرأة المسلمة المعاصرة

obeikandl.com

obeikandl.com

يحتاج البحث في أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة إلى بلورة الأصول التاريخية لهذه التربية، وللقيام بهذه المهمة سوف نتناول في هذا الفصل الأمور التالية:

أولا : تربيـــة المـــرأة في صـــــدر الإســـلام.

ثانيـــا: تربيـــة المـــرأة في عصـــــور الازدهار.

ثالثـــا: تربيـــة المـــرأة في عصور الركـود والتقليد.

رابعـــا: محاولات صياغة أصول تربية المرأة المسلمة في العصر الحديث.

خامسا: واقع تربيـــة المرأة المسلمة المعاصـرة في الوقت الحاضـر.

وأما تفاصيل ذلك فهي كالتالي:

obeikandl.com

المبحث الرابع
تربية المرأة في صدر الإسلام

تعتبر مرحلة صدر الإسلام مرحلة متميزة في تاريخ المرأة بصفة عامة؛ والمرأة المسلمة بصفة خاصة؛ وذلك لأن الإسلام قد استخرج الأمة الإسلامية من أحشاء العصر الجاهلي فصبغها بصبغة الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة:١٣٨]، ثم باعد بينها وبين ماضيها الجاهلي وأخرجها من عبادة الأشياء إلى عبادة رب الأشياء، ووحد بين أفرادها، وأعطاهم - رجالا ونساء - مجموعة من القيم الجديدة التي أنشئوا بها واقعا جديدا هو الأمة المسلمة التي صار فيها الرجال غير ما كانوا والنساء غير ما كن، وهو ما تجلى في شخصية الصحابة من الرجال والنساء.

وقد اعتبر الإسلام المرأة خليفة في الأرض؛ مثلها في ذلك مثل الرجل؛ ومن ثم تمتعت بجميع الحقوق الدينية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية والعلمية التي تمكنها من الإسهام في تنمية المجتمع وإثراء الثقافة الإنسانية وصولا إلى عمارة الكون؛ متوجهة في كل ذلك بتعاليم الإسلام وقيمه.

وكان للتربية الإسلامية التي تلقتها مسلمة صدر الإسلام على يد المربي الأول، رسول الله ﷺ؛ الأثر الكبير على شخصيتها، ومن ثم وجدناها ليست مجرد مستقبل فقط لما يلقي عليها؛ بل وفاعل أيضا في الواقع الاجتماعي الجديد.

وقد قام الرسول ﷺ بتربية صحابته - من الرجال والنساء - معتمدا على القرآن الكريم الذي كان خلقه ومرجعه، وما آتاه الله من حكمة وتشريع. فقد سأل حكيم بن أفلح عائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قال: بلى! قالت: فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن " (ابن حنبل، د. ت، ج٦، ص ٥٤).

ولأن إرادة الله سبحانه وتعالى قد شاءت أن يكون رسول الله ﷺ إنسانا تتمثل فيه الرسالة الخاتمة بكل خصائصها، ويكون بحياته ترجمة لطبيعتها واتجاهها؛ لذلك فقد

وجدنا حياته الخاصة والعامة كتابا مفتوحا لأمته وللبشرية جمعاء، تقرأ فيه صورا حية لتطبيقات منهج الرسالة الإلهية في واقع الحياة المعاش.

ومن ثم وجدنا القرآن الكريم والسنة النبوية يعرضان كثيرا من أحداث حياته؛ حتى ما يكون منها مطويا في العادة بالنسبة للشخص العادي؛ بل وحتى مواضع الضعف البشري التي لا حيلة فيها لأحد، وكل ذلك بهدف تربية أفراد أمته للإقتداء بسيرته ﷺ تحقيقا لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١].

ومن أمثلة ذلك أنه ﷺ قد اختار أن يعيش في هذه الدنيا عيشة الكفاف لإيثاره الآخرة على الدنيا. لكن نساءه لما رأين السعة والرخاء قد حللن عليه؛ طلبن منه الزيادة في النفقة. وقد أحزنه هذا الطلب حتى أنه احتجب عن أصحابه، وذلك لأن نفسه كانت متجردة لما هو أهم(*).

عند ذلك نزلت الآيات الكريمة؛ تحدد القيم الأساسية التي ينبغي أن تترجم واقعا حيا في بيت النبي ﷺ، حيث جاء في القرآن الكريم ما نصه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن

---

* عن جابر بن عبد الله قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لأحد منهم. قال: فأذن لأبي بكر، فدخل. ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له. فوجد النبي ﷺ حوله نساؤه، واجما ساكتا.قال فقال: لأقولن شيئا أضحك النبي، فقال: يا رسول الله! لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها. فضحك رسول الله ﷺ وقال: هن حولي كما ترى، يسألنني النفقة. فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها. فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها. كلاهما يقول تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده. فقلن: والله! لا نسأل رسول الله ﷺ شيئا أبدا ليس عنده. ثم اعتزلهن شهرا أو تسعا وعشرين. ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾ حتى بلغ ﴿لِّلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٢٨ -٢٩]. قال فبدأ بعائشة فقال: يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك! قالت: وما هو؟ يا رسول الله! فتلا عليها الآية. قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة. وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت. قال: لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا. ولكن بعثني معلما ميسرا."(مسلم، د.ت، ج٢، الطلاق/ ٤، ص ١١٠٥).

معنتا: أي مشددا على الناس وملزما إياهم ما يصعب عليهم.

متعنتا: طالبا زلتهم. (النووي في مسلم،د.ت، ج٢،ص١١٠٥).

﴿كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾

[الأحزاب].

وكذلك نجد سورة التحريم تعرض لنا صفحة من حياته ﷺ تمثل صورة للانفعالات بين بعض نسائه، وبينهن وبينه، ثم تعقب بتوجيهات عامة للأمة في ضوء ما وقع في بيت النبي ﷺ.

أيضا نجد في سورة الأحزاب أن إرادة الله سبحانه وتعالى قد شاءت أن ينتدب رسوله ﷺ من أجل تزكية البيئة من بعض عاداتها الموروثة في التحليل والتحريم بغير ما أنزل الله، والأمر هنا يتعلق بإبطال عادة التبني من الناحية العملية، فقد كانت العرب تحرم مطلقة الابن بالتبني حرمة مطلقة الابن من النسب، وما كان من أحد غير الرسول ﷺ بقادر على احتمال العبء الكبير المتمثل في مواجهة المجتمع بخارقة غير مألوفة لديهم.

وهناك أيضا قصة الإفك التي تشير إلى الابتلاء الذي هو ضريبة أداء الواجب في سبيل الله. وقد جاءت الآيات توضح كيفية معالجة أمثال هذه الابتلاءات إذا ما تعرض لها المجتمع المسلم بصفة عامة.

إن هذه الأحداث -وغيرها كثير- لتعبر عن الجهد العظيم الذي بذل في تربية مسلمي صدر الإسلام. فكأن الله سبحانه وتعالى أراد استصفاء تلك النفوس وتجريدها لدينه، فكان يأخذ أصحابها بالأحداث وبالتعقيب عليها ليربيهم تدريجيا.

وقد أعد الله رسوله ﷺ من أجل أداء مهمته في تبليغ الرسالة التي أرسله بها إلى الناس كافة رحمة بهم؛ يبشرهم بالثواب على الإحسان، وينذرهم العقاب على الإساءة. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء] ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فاطر:٢٤].

ومن ثم فقد اشتمل إعداده على تلقينه أساليب الدعوة وتكاليفها وكيفية مواجهة المدعوين، وكيفية معاملة من يتبعه منهم.... إلخ.

ونجد في القرآن الكريم كثيرا من الآيات التي تشير إلى جوانب إعداده ﷺ، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء] ، وقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل:١٢٥] ، وقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف].

ومن جوانب إعداد الرسول ﷺ أيضا؛ التوجيهات التي اشتمل عليها القرآن الكريم في نصحه بالتغاضي عن بعض النفوس واستخدام اللين وعدم الشدة في المحاسبة على الأخطاء، وذلك في بداية قيام المجتمع، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩].

ثم نجد الموقف يتبدل بعد أن قويت الأمة، حيث نزلت الآيات تعاتبه على تساهله مع المنافقين. قال تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة].

وقد استمرت تربيته ﷺ لمسلمي صدر الإسلام منذ بعثته في مكة المكرمة وحتى وفاته في المدينة. واحتاج الأمر منه إلى جهود ضخمة، وعلاج بطيء لصغار الأمور وكبارها، فكانت حركة بناء هائلة للنفوس؛ اشتدت أحيانا حتى بلغت درجة الحدود، ورقت أحيانا حتى بلغت درجة اللمسات الوجدانية الرقيقة. فكان ﷺ يعطي المثل في الصبر على تربية مسلمي صدر الإسلام -رجالا ونساء - وكان يشعرهم أنه معهم في كل شئونهم صغيرها وكبيرها، حيث كان يعالجها بأسلوب تربوي حكيم؛ جعلهم يحبونه ويفدونه بأنفسهم وآبائهم.

روى الصحابي معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه، فقال: " بينما أنا أصلى مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم. فقلت: يرحمك الله. فرماني القوم بأبصارهم. فقلت واثكل أمياه. ما شأنكم تنظرون إلي؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم. فلما رأيتهم يصمتونني. لكني سكت. فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه - والله ما كهرني (انتهرني) ولا ضربني ولا شتمني... وإنما قال: " إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن. "(مسلم، د.ت، ج١ المساجد/ ٧، ص ص ٣٨١- ص ٣٨٢).

وإلى جانب اللين والرحمة، فقد كان من صفاته ﷺ التواضع. فنجد أنه حينما يهابه أحدهم ويرتعد خوفا أمامه يهدئ من روعه.

روى ابن مسعود ﷺ قال: أتى النبي ﷺ رجل. فكلمه فجعل ترتعد فرائصه. فقال له: هون عليك. فإني لست بملك. إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد[1] " (ابن ماجه. د.ت، ج٢، ص ١١٠١).

وقد امتدح القرآن الكريم رحمته، حيث جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وكان ﷺ يستخدم الدعابة أحيانا في تعليمه لأصحابه؛ ليطرد بها السأم، ويخفف من جدية الحياة. ويشير إلى ذلك بقوله: " إني لأمزح ولا أقول إلا حقا "(المتقي، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨ م، ج١، ص٣٢٢).

وبصفة عامة؛ فقد كان ﷺ بقوله وعمله يمثل الرسالة الإسلامية التربوية في كونها إلهية واقعية إنسانية.

وسوف نستعرض فيما يلي أبرز المبادئ التي وجهت تربية مسلمة صدر الإسلام.

المبادئ التي وجهت تربية مسلمة صدر الإسلام:

تتوزع المبادئ التي قامت على أساسها تربية مسلمة صدر الإسلام في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، حيث نجد بعضها صريحا كفرضية التعلم، وبعضها يمكن استنباطه من أساليب الرسول ﷺ في التعامل مع المرأة.

وفيما يلي؛ استعراض لأهم المبادئ التي وجهت تربية مسلمة صدر الإسلام:

١- التعلم فريضة:

تؤكد الأصول التربوية في السنة النبوية على فرضية العلم وترغب فيه، حيث يقول الرسول ﷺ فيما رواه أنس بن مالك ﷺ: " طلب العلم فريضة على كل مسلم " (ابن ماجه، د.ت، ج١، المقدمة، ص٨١)، ويقول ﷺ فيما رواه أبو هريرة ﷺ: "ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة " (ابن ماجه، د.ت، ج١،المقدمة، ص ٨٢).

وينبثق وجوب تعليم المرأة المسلمة من مبدأ حفظ كرامتها ومساواتها بالرجل من حيث الأصل والمسئولية. فهي مسئولة عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فيما فرض

(١) من اللحم " ما قطع طولا وملح وجفف في الهواء" (المعجم الوسيط، ج٢، ص ٧٢٤).

عليها من عبادات ومعاملات؛ فكان من واجبها أن تتعلم ما لا يتحقق لها الالتزام بالدين إلا بتعلمه.

وقد عملت التربية النبوية على صياغة مشاعر مسلمة صدر الإسلام وفقا لأهداف العقيدة، حتى يتضح موقفها من الحياة والكون والنفس والمجتمع، بحيث ينعكس أثر ذلك في استجاباتها وانفعالاتها وتصوراتها تجاه هذه الأمور من خلال ممارستها في واقع الحياة.

ومن ثم فقد كان التعليم المنهجي الموحد؛ ضرورة لازمة لمسلمات صدر الإسلام، ولذلك وجدنا الرسول ﷺ يأمر الرجال بعدم منع النساء من ارتياد المساجد باعتبارها المؤسسة التعليمية الأولى.

يقول الرسول ﷺ فيما رواه سالم عن أبيه رضي الله عنه : " إذا استأذنت أحد كم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها " مسلم، د.ت، ج١، الصلاة / ٣٠، ص ٣٢٦-٣٢٧).

بل قد وجدناه ﷺ يأمر بخروج النساء جميعا إلى المساجد، حتى الحيض منهن، وذلك كي يشهدن الخير واجتماع المسلمين في العيدين.

فقد روت أم عطية رضي الله عنها فقالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في العيد والأضحى: العواتق والحيض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير، ودعوة المسلمين.قلت يا رسول الله: إحدانا لا يكون لها جلباب؟ قال: لتلبسها أختها من جلبابها " (مسلم، د.ت، ج٢، العيدين / ١، ص ٦٠٦).

ونهاية الحديث فيها توجيه للمرأة المسلمة بأن تبذل ما وفي وسعها من أجل شهود العيدين.

فالرسول الكريم ﷺ قد كان حريصا على أن تشارك مسلمة صدر الإسلام في التعرف على أحداث الأمة وقضاياها التي تطرح من خلال منبر المسجد. وقد أكد ذلك بفعله ﷺ حين كان يخصص جزءا من خطبته ويتجه إلى مكان تجمع النساء ليعظهن ويذكرهن.

من ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ حيث قال: " خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى، ثم انصرف فوعظ الناس وأمرهم بالصدقة فقال: يأيها الناس تصدقوا، فمر على النساء فقال: يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فقلن وبم ذلك يا رسول الله ؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير. ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن يا معشر النساء... ثم انصرف " (البخاري، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج٢، الزكاة/ ٤٤، ص ١٢٦).

وقد أدركت مسلمة صدر الإسلام أهمية العلم في توسيع مداركها؛ لذلك وجدناها تطالب الرسول ﷺ بالمزيد من فرص التعلم إلى جانب ما تتلقاه مع عامة الناس.

روى أبو سعيد رضي الله عنه قال: قال النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك، فوعدهن يوما - لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال لهن: " ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابا من النار فقالت امرأة واثنين، فقال واثنين." (البخاري، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج١، العلم/ ٣٦، ص ٣٤).

كما أدركت مسلمة صدر الإسلام أيضا أهمية ارتياد المسجد في صقل شخصيتها والارتقاء بفكرها، ومن ثم وجدناها تحرص على غشيان المسجد في شتى المناسبات.فهذه أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ تحدث عن شهودها لصلاة الكسوف فتقول:

" كسفت الشمس في عهد النبي ﷺ ففزع، فأخطأ بدرع، حتى أدرك بردائه بعد ذلك. قالت: فقضيت حاجتي ثم جئت ودخلت المسجد. فرأيت رسول الله ﷺ قائما. فقمت معه فأطال القيام حتى رأيتني أريد أن أجلس. ثم ألتفت إلى المرأة الضعيفة، فأقول هذه أضعف مني فأقوم. فركع فأطال الركوع ثم رفع رأسه فأطال القيام. حتى لو أن رجلا جاء خيل إليه أنه لم يركع... "(مسلم، د.ت، ج٢، الكسوف/ ٣، ص ٦٢٦).

فكان ارتياد أسماء ﷺ للمسجد وشهودها لصلاة الكسوف سببا في أن نتعلم جميعا كيفية صلاة الكسوف.

وتلك أم هشام بنت حارثة بن النعمان ﷺ تقول: ما أخذت ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ

﴿١﴾ [ق] إلا عن لسان رسول الله ﷺ يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس." (مسلم، د.ت، ج٢، الجمعة/ ١٣، ص ٥٩٥).

فلزوم أم هشام لصلاة الجمعة مع رسول الله ﷺ قد كان سببا في حفظها لهذه السورة الكريمة.

من ذلك ندرك أهمية المسجد في تربية المرأة المسلمة وأهمية ارتيادها له بشرط الالتزام بالآداب التي أمر بها الإسلام والتي أشار إليها الرسول ﷺ في كثير من الأحاديث، من بينها ما روته زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث قالت: قال لنا رسول الله ﷺ: "إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيبا " (مسلم، د.ت، ج٢، الصلاة/ ٣٠، ص ٣٢٨).

٢- التعليم فريضة على كل قادر عليه :

مثل الرسول ﷺ القدوة للمسلمين كافة في تحقيق فرضية التعليم بنفسه استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧].

ونجد الأصول التربوية في القرآن الكريم والسنة النبوية توجه المسلمين كافة إلى التعليم وتنهى عن كتمان العلم. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يمكن أن يتم إلا بالعلم.

أما النهي عن كتمان العلم فقد جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة].

وفي معرض حديثه عن معنى هذه الآية؛ أشار الشيخ محمد رشيد رضا إلى أن الحكم عام: " فكل من يكتم آيات الله وهدايته؛ فهو مستحق لهذه اللعنة "(رضا د.ت، ج٢، ص ١٥٢).

كذلك توجه السنة النبوية إلى التعليم في قوله ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : " بلغوا عني ولو آية." (الترمذي، د.ت. ج ٥، العلم / ١٣، ص ٣٩)، وقوله أيضا فيما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : " نضر الله امرءا سمع منا حديثا حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه " (الترمذي، د.ت، ج ٥،

العلم / ٧، ص ٣٣).

كما حذرت السنة النبوية أيضا من كتمان العلم وذلك في قوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : " من سئل عن علم ثم كتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار " (الترمذي، د.ت، ج ٥، العلم / ٣، ص ٢٩).

كذلك نجد السنة النبوية توجه المرأة خاصة إلى التعليم وذلك من خلال طلبه ﷺ من الشفاء بنت عبد الله أن تعلم زوجه حفصة رضي الله عنها رقية النملة وذلك في قوله ﷺ: " علمي هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة" (أبو داود، د.ت، ج ٢، الطب/ رقم ٣٨٨٧، ص ١١).

وقد كان الرسول ﷺ مربيا ومعلما للرسالة التي أنزل بها بأقواله، وأفعاله وتقريراته. وكان القرآن ينزل عليه في كل الأوقات، ومن بينها الأوقات التي يكون فيها مع أهله.

فكانت أمهات المؤمنين رضي الله عنهن يشهدن ويسمعن ويتعلمن ما لا يتيسر للرجال، وكن يروين ذلك استجابة لأمر الله لهن: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب-٣٤].

وبذلك كانت بيوت النبي ﷺ مدارس للتعليم، حيث كانت أمهات المؤمنين يقتدين، ويؤدين العبادات، ويتخلقن بالآداب والمعاملات التي شاهدن رسول ﷺ يتخلق بها، فكن في كل ذلك الأسوة لغيرهن من النساء والرجال، حتى أننا نجد أن الصحابة رضوان الله عليهم كثيرا ما كانون يختلفون في أمر ما، فيأتون إلى زوجات النبي ﷺ ليرجعوا بالجواب.

فكانت نساء النبي ﷺ شواهد اختارهن الله سبحانه وتعالى لمعايشة نبيه ؛ فنقلن بشهادتهن دقائق البيت النبوي وأسراره، وهن يؤدين مهمتهن في تربية أجيال المؤمنين والمؤمنات.

ولذلك وجدنا بيوت النبي ﷺ منارات يهتدي بها الناس، من خلال ما يتلقونه من علم على أيدي زوجاته رضوان الله عليهن، حتى بلغ ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، فلم يزد عليها من الصحابة إلا أبو هريرة رضي الله عنه (أبو سنة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢٤٣).

روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: " ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط

فسألنا عائشة عنه إلا وجدنا عندها منه علما " (ابن الجوزي، د.ت، ج٢، ص٣٢).

كما روي عن عاصم بن حميد ﷺ أنه قال: (سألت عائشة ﷺ: بأي شيء كان يفتتح رسول الله ﷺ قيام الليل؟ فقالت: لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك. كان إذا قام كبر عشرا، وحمد الله عشرا، وسبح عشرا، وهلل عشرا، واستغفر عشرا، وقال: " اللهم اغفر لي، واهدني، وارزقني وعافني، ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة " (أبو داود، د.ت، ج١، الصلاة / رقم ٧٦٦، ص ٢٠٣-٢٠٤).

وحدث أن سمعت أم المؤمنين عائشة ﷺ أن عبد الله بن عمرو ﷺ يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رءوسهن، فعندما بلغها ذلك قالت: ".. يا عجبا لابن عمرو هذا!! يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رءوسهن! أفلا يأمرهن أن يحلقن رءوسهن؟! لقد كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد ولا أزيد على أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات " (مسلم، د.ت، ج١، الحيض / ١٢، ص٢٦٠).

وهكذا ردت أم المؤمنين عائشة ﷺ نظر عبد الله بن عمرو ﷺ.

وفي موقف آخر نجد السيدتين عائشة وأم سلمة ﷺ يردان نظر أبي هريرة والفضل ابن عباس ﷺ في أن من أدركه الفجر جنبا فلا يصم. فكلتاهما قالت لما سئلت: كان النبي ﷺ يصبح جنبا عن غير حلم ثم يصوم[1]. " (مسلم، د.ت، ج٢، الصيام/ ١٣، ص ٧٧٩-٧٨٠).

ولم يقتصر علم السيدة عائشة ﷺ على الحديث فقط؛ بل شمل جوانب أخرى من فروع المعرفة، أشار إليها عروة بن الزبير حيث قال: " ما رأيت أحدا من الناس أعلم بالقرآن، ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة " (الأصبهاني، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م، ج٢، ص ٥٠).

---

(١) روى أبو بكر بن عبد الرحمن ﷺ قال:" سمعت أبا هريرة ﷺ .....، يقول في قصصه: من أدركه الفجر جنبا فلا يصم. فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث (لأبيه) فأنكر ذلك. فانطلق عبد الرحمن وانطلقت معه حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة ﷺ، فسألهما عبد الرحمن عن ذلك . قال: فكلتاهما قالت: كان النبي ﷺ يصبح جنبا من غير حلم ثم يصوم. قال: فانطلقنا حتى دخلنا على مروان فذكر ذلك له عبد الرحمن. فقال مروان. عزمت عليك إلا ما ذهبت إلى أبي هريرة فرددت عليه ما يقول. قال فجئنا أبا هريرة. وأبو بكر حاضر ذلك كله. قال: فذكر له عبد الرحمن فقال أبو هريرة: أهما قالتا ذلك؟ قال نعم. قال: هما أعلم. " (مسلم، د.ت، ج٢، الصيام / ١٣، ص ٧٨٠).

وقد ذكر الشعبي أن عائشة ﵂ قالت: " رويت للبيد نحوا من ألف بيت."، وكان يتعجب من فقهها وعلمها ويقول: " ما ظنكم بأدب النبوة " (الذهبي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ج٢، ص ١٩٧).

كذلك روى الشعبي قال: " قيل لعائشة يا أم المؤمنين ﵂: هذا القرآن تلقيته عن رسول الله ﷺ، وكذلك الحلال والحرام. وهذا الشعر والنسب والأخبار سمعتها من أبيك وغيره. فما بال الطب. قالت كانت الوفود تأتي رسول الله ﷺ، فلا يزال الرجل يشكو علة فيسأله عن دوائها فيخبره بذلك فحفظت ما كان يصفه لهم وفهمته" (الذهبي، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م، ج٢، ص١٩٧).

ولم يقتصر القيام بالتعليم على أمهات المؤمنين فقط بل شمل غيرهن من الصحابيات.

فهذه أسماء ﵂ تروي من الأحاديث ما عدده (٤٢) اثنان وأربعون حديثا (أبو سنة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢٦٥). وتلك أم الحسن البصري ﵂ تجلس لتقص على النساء بعضا من أمور الدين (ابن سعد، د.ت، ج٨، ص ٤٧٦).

وهناك أم شريك ﵂ التي أسلمت بمكة، ثم أخذت تدعو إلى الإسلام سرا في بداية الدعوة الإسلامية، وغيرهن من الأمثلة التي استوعبت مسئوليتها في إيصال الحق إلى الآخرين. ﷺ

٣- تكريم المرأة واحترامها:

المرأة أحد شقي الإنسان الذي أراد الله له أن يكون أفضل مخلوقاته، حيث خلقه بيده وسخر له الكون، وفضله على غيره من المخلوقات، وميزه بالقدرة على التعلم، وبالقدرة على التمييز بين الخير والشر، وأنزل له الشريعة لإصلاح أحواله ووعده بالخلود في الآخرة إذا ما أحسن؛ ولهذا وجدنا التربية الإسلامية تستخدم أفضل الأساليب اللائقة بكرامة المرأة، وتدفعها إلى إعمال عقلها، وتنمية قدرتها على التفكير، وتنمية الإحساس لديها بمراقبة الله، حتى تعبده عن وعي وبصيرة.

وتبرز مظاهر تكريم التربية الإسلامية للمرأة؛ في تحقيقها للمساواة بينها وبين الرجل، والتي عبر عنها الرسول ﷺ بقوله لأسماء بنت يزيد بن السكن ﵂:" انصرفي يا أسماء وأعلمي من وراءك من النساء؛ أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته

واتباعها موافقته؛ يعـدل كل ما ذكرت[1] " (ابن عبد البر، ١٣٩٨هـ/ ١٩٨٧م، ج٢، ص ٢٣٧-٢٣٨).

فمفهوم المساواة في التربية الإسلامية؛ يختلف عن مفهومها لدى الآخرين. فالمساواة لا تعني ذات الحقوق، أو ذات الأعمال وإنما تعني أن لكل من الجنسين مجاله الخاص الذي يبدع فيه، والتساوي إنما هو في الأجر، والمنزلة عند الله سبحانه وتعالى.

ويعلق النحلاوي على نص هذا الحديث بقوله:

" وفي هذا تمام شعور المرأة بكرامتها، ذلك أن الله جعل لها فيما تقدر عليه بحكم طبيعتها الأنثوية من الثواب مثل ما خص به الرجال مما يقدرون عليه برجولتهم كالجهاد " (النحلاوي،١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٧٣).

ومن مظاهر تكريم التربية الإسلامية للمرأة أيضا: إتاحة الفرصة لها في الاختيار بدءا من عقيدتها وانتهاء بأدق شئون حياتها. ونجد الأصول التربوية في القرآن الكريم والسنة المطهرة تؤكد هذا الحق للمرأة.

ففي **مجال العقيدة** يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٦٥].

وفي **مجال الزواج** يقول الرسول ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : " لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولاتنكح البكر حتى تستأذن " (مسلم، د.ت، ج٢، النكاح/ ٩، ص ١٠٣٦).

وقد استمتعت مسلمة صدر الإسلام بهذا الحق في واقع حياتها، فوجدناها في المجال العقدي؛ تهاجر فرارا بدينها تاركة أهلها ووطنها، كما فعلت كل من أم سلمة، وأم حبيبة، وأم كلثوم بنت عقبة وغيرهن رضي الله عنهن أجمعين.

وفي **المجال الاجتماعي** وجدنا مسلمة صدر الإسلام تتمسك بحقها في اختيار شريك حياتها، وفي البقاء في عصمته أو مفارقته.

فهذه فتاة تذهب إلى رسول الله ﷺ لتشتكي تزويجها رغما عنها فتقول:

---

(١) انظر الحديث ص ١٣٤.

" يا رسول الله؛ إن أبي ونعم الأب هو، زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته، قال: فجعل الأمر إليها، فقالت: إني قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء "(الدارقطني، د. ت، ج٣، النكاح، ص٢٣٢).

وتلك بريرة الجارية التي زوجت رغما عنها من عبد اسمه مغيث، فلما أعتقت طلبت الطلاق من زوجها الذي كان يطوف خلفها ويبكي من فرط محبته لها، فيقول لها الرسول ﷺ: " لو راجعتيه، فإنه أبو ولدك. قالت: يا رسول الله: تأمرني؟ قال: " إنما أشفع" . قالت: لا حاجة لي فيه" [1] (ابن ماجه، د.ت، ج١، الطلاق/ ٢٩، ص ٦٧).

وفي **المجال السياسي** نجدها على وعي بحقها في إجارة المستجير، فتطبق ذلك الحق وتتمسك به. فقد ذكر ابن كثير في تاريخه أن زينب بنت رسول الله ﷺ استجار بها زوجها العاص فأجارته؛ وذلك أنه كان في تجارة لقريش إلى الشام، فلما قفل راجعا، لقيته سرية من المسلمين فأخذوا ما معه وهرب هو إلى زينب فاستجار بها فأجارته. " فلما خرج رسول الله ﷺ لصلاة الصبح وكبر وكبر الناس، صرخت من صفة النساء: أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع. فلما سلم رسول الله ﷺ أقبل على الناس فقال: " أيها الناس هل سمعتم الذي سمعت؟" قالوا: نعم. قال:" أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعتم وإنه يجير على المسلمين أدناهم" (ابن كثير، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج٣، ص ٣٣٢) .

ولذلك وجدنا أم هانئ رضي الله عنها تجير وتتمسك بحقها في الإجارة. ففي يوم الفتح؛ فر رجلان من أحماء أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها إليها... تقول أم هانئ:

" فدخل علي أخي علي بن أبي طالب فقال: والله لأقتلهما، فأغلقت عليهما باب بيتي، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة يغتسل.... فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به، ثم صلى ثماني ركعات من الضحى ثم انصرف إلي فقال: " مرحبا وأهلا بأم هانئ. ما جاء بك؟ " فأخبرته خبر الرجلين، وخبر علي فقال: " قد أجرنا من أجرت، وأمنا من أمنت فلا يقتلهما " (ابن كثير،١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج٤، ص ٢٩٨).

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان زوج بريرة عبدا يقال له مغيث كأني انظر إليه يطوف حولها ويبكي، ودموعه تسيل على خده. فقال النبي ﷺ للعباس: " يا عباس ألا تعجب من حب مغيث لبريرة ومن بغض بريرة مغيثا؟ فقال لها النبي ﷺ: " لو راجعتيه، فإنه أبو ولدك. قالت: يا رسول الله: تأمرني؟ قال: " إنما أشفع". قالت لا حاجة لي فيه " (ابن ماجه، د.ت، ج١، الطلاق/ ٢٩، ص ٦٧) .

ومن مظاهر تكريم التربية الإسلامية للمرأة أيضا؛ أنها منحتها الأهلية الاقتصادية الكاملة فأصبحت تملك وترث وتورث، وفي سبيل ذلك أبطلت كثيرا من العادات الجاهلية التي كانت تحرمها من حقوقها.

وإجمالا فإنه يمكن القول: إن تربية المرأة المسلمة على مبدأ الكرامة يحررها من قيود كثيرة منها:

- تحريرها من الظلم الذي حاق بها عبر التاريخ.
- تحريرها من الزعامات الزائفة؛ من الأصنام والأوثان والسحرة والمشعوذين.
- تحريرها من استعباد الشهوات التي قد تربطها بالدنيا.
- تحرير عقلها من الخرافات فلا تقبل دون برهان.
- تحرير نفسها من القلق والخوف، لأنها تستند إلى أعظم قدرة فلا مجال للخوف من المخلوقات الأخرى.

٤- مراعاة الخصائص المشتركة والفروق بين الذكور والإناث:

راعت التربية الإسلامية حقيقة العبودية التي يقف فيها الرجال والنساء سواء أمام الله سبحانه وتعالى، ومن ثم وجدناها تربي كلا منهما التربية التي تعينه على تحقيق كمال هذه العبودية.

لهذا وجدنا الخطاب في القرآن الكريم والسنة النبوية يتوجه إلى الرجال والنساء على حد سواء فيما يشتركون فيه من تكليفات اقتضتها الخصائص المشتركة بينهما، وتتوجه إلى كل منهما على حدة فيما يتفرد فيه من خصائص عن الآخر.

من ذلك مثلا الأمر بالعلم الذي توجه الخطاب به في أول آية قرآنية إلى النوعين، باعتبار العلم الناتج عن القراءة هو السبيل إلى معرفة الله، ومعرفة كيفية أداء حق العبودية تجاهه. وكذلك الأمر بممارسة الشعائر والممارسات التعبدية من فرض ونفل؛ فقد توجه الخطاب به إلى النوعين حاثا إياهما على المسارعة في الخيرات لنيل الجزاء العظيم الذي عبر عنه الحديث في قوله ﷺ عن ربه:

" أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" (مسلم، د.ت، ج٤، الجنة، ص ٢١٧٤).

لكن هناك من التوجيهات ما راعى المصلحة العامة التي اقتضتها فطرة الله سبحانه وتعالى لكل من النوعين بما يميزه عن الآخر. فقد وجه الرجال إلى أهمية الالتزام بأداء صلاة الجمعة والجماعة، وإلى القيام بمسئولية القوامة وما تستلزمه من رعاية وإنفاق، و إلى الجهاد في سبيل الله، في حين لم يفرض على المرأة شيء من ذلك، بل جعل إحسانها في أداء ما أنيط بها من مسئولية العناية والرعاية بالزوج والأولاد؛ مساويا لكل ما يقوم به الرجال من أعمال بما في ذلك الجهاد في سبيل الله.

وبالنظر في هذا التقسيم في الوظائف بينهما؛ نجد أنه يأتي منسجما مع ما منحه كل من النوعين من مؤهلات وقدرات، وخاضعا لأحقية الأصلح في المجال الذي يثبت فيه جدارة به.

وقد وجدنا الرسول ﷺ يراعي وجود الاختلاف بين الرجل والمرأة إلى جانب ما بينهما من مشترك في الخصائص؛ ففي مجال العلم، نجده يحث الرجال على عدم منع النساء من ارتياد المساجد، وفي الوقت نفسه يراعي ما تتميز به المرأة من خلق الحياء الذي قد يمنعها من التصريح بما يعن في نفسها من أسئلة تتعلق بحياتها الخاصة، ومن ثم وجدناه يلبي رغبة النساء في أن يخصهن بيوم يعلمهن فيه مما علمه الله.

٥- التربية الذاتية:

بمعنى ترك المتعلم يعتمد على نفسه في تحصيل المعرفة. وفي ذلك تأكيد لحريته الإرادية. ونجد التربية الإسلامية تحرص على تربية الأفراد على هذا المبدأ؛ من خلال إلزامهم بالواجب الذي تحتمله النفس في العادة في العبادات والمعاملات، ثم تترك ما بعده لمشيئة الفرد واستطاعته.

ففي مجال العبادات نجد هناك ما هو فرض، وما هو سنة.

وفي مجال المعاملات نجد هناك الأمر بالعدل، لكننا أيضا نجد الأمر بالإحسان.

وقد عزز الرسول ﷺ هذا المبدأ في تربيته لمسلمة صدر الإسلام من خلال إتاحته الفرصة لها للسؤال والمناقشة بحرية. وأدركت مسلمة صدر الإسلام أهمية السؤال في تعزيز معرفتها؛ فأقبلت تسأل عن كل ما تشعر بالحاجة إلى معرفته.

فهذه عائشة رضي الله عنه تسأل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم:٤٨] : " فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فيقول: على الصراط "(مسلم، د.ت، ج٤، المنافقين/ ٢، ص ٢١٥٠).

وعندما رأته ﷺ في آخر أمره يكثر من قول: " سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه "، قالت: فقلت يا رسول الله أراك تكثر من قول: " سبحان الله وبحمده، أستغفره وأتوب إليه؟ " فقال:" خبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي. فإذا رأيتها أكثرت من قول: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه، فقد رأيتها. إذا جاء نصر الله والفتح. فتح مكة. ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا. فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا "(مسلم، د.ت، ج١، الصلاة / ٤٢، ص ٣٥١).

وتسأله عن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون] : يا رسول الله هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف ؟ قال: " لا يا بنت أبي بكر، يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل " (ابن حنبل، د.ت،ج٦، ص ١٥٩).

وتسأله أم سلمة رضي الله عنها :" أتصلي المرأة في درع وخمار ليس عليها إزار؟ فقال ﷺ: "إذا كان الدرع سابغا يغطي ظهور قدميها " (البيهقي، د.ت،ج٢، ص٢٣٣).

وتسأله أسماء رضي الله عنها عن غسل المحيض فيقول: " تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها[١] فتطهر فتحسن الطهور. ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكا شديدا، حتى تبلغ شئون رأسها، ثم تصب عليها الماء. ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها فقالت أسماء: وكيف تطهر بها؟ قال: "سبحان الله تطهرين بها." فقالت عائشة: (كأنها تخفي ذلك) تتبعين أثر الدم. وسألته عن غسل الجنابة فقال: " تأخذ ماء فتطهر، فتحسن الطهور. أو تبلغ الطهور ثم تصب على رأسها فتدلكه حتى تبلغ شئون رأسها [٢]. ثم تفيض عليها الماء. "فقالت عائشة: نعم النساء نساء الأنصار! لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين"(مسلم، د.ت. ج١، الحيض / ١٣، ص ٢٦١).

وتسأله أسماء بنت عميس رضي الله عنها: يا رسول الله: إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه لا

---

(١) **السدر**: شجر النبق، والمراد ورقه. (النووي في مسلم، د.ت، ج١، ص ٢٦١).

(٢) **شئون الرأس**: أصول شعر الرأس. (النووي في مسلم، د.ت، ج١، ص ٢٦١).

obeikandl.com

أشتهيه يعد ذلك كذبا ؟ فقال: فإن الكذب يكتب كذبا، حتى الكذيبة تكتب كذيبة [1]" (ابن حنبل، د.ت، ج٦، ص ٤٣٨).

٦- الاستمرار في طلب العلم:

توجه الأصول التربوية في القرآن الكريم والسنة النبوية إلى أهمية الاستزادة من العلم والاستمرار في طلبه، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه].

والاستمرار في طلب العلم يفيد في تعزيز المعرفة، وإلى ذلك يشير قوله ﷺ فيما رواه أبو موسى رضي الله عنه: " تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده! لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها" (مسلم، د.ت، ج١، المسافرين/ ٣٣، ص ٥٤٥).

ومما يؤكد اهتمام المربي الأول ﷺ بتوجيه متعلميه إلى الاستمرار في طلب العلم؛ طلبه من الشفاء بنت عبد الله أن تعلم زوجه حفصة رضي الله عنها رقية النملة [1] كما علمتها الكتابة.

٧- الرفق بالمتعلمين:

توجه الأصول التربوية في القرآن الكريم والسنة إلى أهمية الرفق في كل شيء، وخاصة من قبل المربي مع من يربيهم. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

---

(١) عن أسماء بنت عميس قالت: كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ، ومعي نسوة. قالت: فوالله ما وجدنا عنده قرى إلا قدحا من لبن. قالت: فشرب منه، ثم ناوله عائشة، فاستحيت الجارية. فقلنا: لا تردي يد رسول الله ﷺ، خذي منه، فأخذته على حياء فشربت منه، ثم قال: ناولي صواحبك. فقلنا: لا نشتهيه. فقال: لا تجمعن جوعا وكذبا. قالت: فقلت: إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه، لا أشتهيه يعد ذلك كذبا؟ قال: إن الكذب يكتب كذبا، حتى الكذيبة تكتب كذيبة. " (ابن حنبل، د.ت، ج٦، ص ٤٣٨).

(١) **رقية النملة:** " قيل: إن هذا من لغز الكلام ومزاحه، كقوله للعجوز: " لا تدخل العجز الجنة "، وذلك أن رقية النملة شيء كانت تستعمله النساء يعلم كل من سمعه أنه كلام لا يضر ولا ينفع، ورقية النملة التي كانت تعرف بينهن أن يقال: العروس تحتفل وتختضب وتكتحل، وكل شيء تفتعل غير ألا تعصى الرجل. فأراد ﷺ بهذا المقال تأنيب حفصة رضي الله عنها لأنه ألقى إليها سرا فأفشته. (ابن الأثير، د.ت، ج٥، ص١٣٠) .

فالله سبحانه وتعالى يشيد بالرحمة التي كانت تملأ قلبه ﷺ، والتي جعلت الناس يقبلون عليه.

ونجد التوجيهات النبوية تؤكد على أهمية الرفق، حيث يقول ﷺ فيما روته عائشة رضي الله عنها :" إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه " (مسلم، د.ت، ج٤، البر / ٢٣، ص ٢٠٠٤).

وقد كان الرفق من أخلاقه ﷺ حتى وجدنا خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: "خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي: أفا قط، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا، وهلا فعلت كذا " (مسلم، د. ت، ج٤، الفضائل/ ١٣، ص ١٨٠٤).

ونجده ﷺ يطبق خلق الرحمة والرفق مع مسلمات صدر الإسلام، فلا يشق عليهن ولا يكلفهن فوق ما يحتملن. فقد روت أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها فقالت: " بايعت رسول الله ﷺ في نسوة فقال لنا: فيما استطعتن وأطقتن. قلت: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا" (الترمذي، د.ت، ج٤، السير ٣٦/ ص ١٢٩).

فمسلمات صدر الإسلام قد كن على استعداد للمبايعة على كل شيء دون شرط؛ لكن المربي الرحيم يدرك حدود وسعهن وقدرتهن فيشترط هذا الشرط: " فيما استطعتن وأطقتن ".

وقد عبرت مسلمة صدر الإسلام عن هذه الرحمة وهذا الرفق من رسول الله ﷺ تجاهها حين قالت لعمر: أنت أفظ وأغلظ من رسول الله. وذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استأذن على رسول الله ﷺ مرة وبعض النسوة بين يديه، فابتدرن الحجاب. فلما دخل عمر وجد رسول الله ﷺ يضحك: فقال: " أضحك الله سنك يا رسول الله! قال: عجبت من هؤلاء كن عندي فلما سمعن صوتك؛ ابتدرن الحجاب. قال عمر: فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يهبن. ثم قال: أي عدوات أنفسهن؛ أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟ قلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ "(البخاري، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج٤، بدء الخلق/ ١٢، ص ٩٦).

٨- الصحبة في طلب العلم:

صحبة المتعلم لمن يعلمه مبدأ مهما في التربية؛ لما يوفره من إمكانية الاقتداء بالمربي، والتعرف على سلوكه في جميع أحواله. وهذا ما توفر لأمهات المؤمنين رضوان الله عليهن، اللاتي كن بفضل صحبتهن للرسول ﷺ منارات في العلوم التي توفرت لهن في ذلك العصر.

وقد طبق الرسول ﷺ هذا المبدأ في تربيته لمسلمة صدر الإسلام من غير أمهات المؤمنين؛ حيث كان يحرص على أن يخصهن بمجالس علمية خاصة بهن.

٩- التربية بالممارسة والعمل:

حيث إن التطبيق العملي؛ يجعل المعرفة أوقع في النفس وأكثر ثباتا في الذاكرة؛ فقد وجدنا مربي مسلمة صدر الإسلام ﷺ يحرص على التطبيق العملي لما يعلمها إياه؛ ليكون أوقع وأكثر ثباتا في نفسها.

من ذلك أنه عندما بايع النساء؛ سألنه المصافحة فقال: " إنما قولي لمائة امرأة؛ كقولي لامرأة واحدة " (الترمذي، د.ت، ج٤، السير/ ٣٧، ص ١٢٩).

ولم يكتف ﷺ بإخبارهن بذلك؛ بل طبقه عمليا، وروي عنه ذلك حيث قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: " ولا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط. غير أنه بايعهن بالكلام "(مسلم، د.ت، ج٣، الإمارة/ ٢١، ص ١٤٨٩).

وكان ﷺ يأمر مسلمة صدر الإسلام بأمر، ويبادر هو فيطبقه ليعطي لها ولغيرها القدوة من نفسه. فنجده ﷺ يأمرها بالصدقة بقوله:" تصدقن. " (مسلم، د.ت، ج٢، العيدين، ص٦٠٣)، ثم نجد السيدة عائشة رضي الله عنها تصفه بأنه عليه السلام: " كان أجود بالخير من الريح المرسلة " (مسلم، د.ت،ج٤، الفضائل/ ١٢، ص ١٨٠٣).

ونجده ﷺ يحبب إلى المرأة قيام الليل بقوله ﷺ: " رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء ". ثم يعطي هو القدوة من نفسه حين يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فتسأله عائشة رضي الله عنها عن ذلك وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيقول: " أفلا أكون عبدا شكورا " (مسلم، د.ت، ج٤، المنافقين / ١٨، ص ٢١٧١).

١٠- التربية المتكاملة:

ركزت التربية الإسلامية تركيزا شاملا ومعجزا على تربية مسلمة صدر الإسلام، وإعدادها لحمل الرسالة الإسلامية في نفسها، ثم إلى غيرها بحسب الاستطاعة.

لذلك فقد اهتمت التربية الإسلامية بتكوين شخصية مسلمة صدر الإسلام؛ التي ستحمل الحق إلى الآخرين، وتكون قدوة لهم فيه. ومن ثم وجدنا آيات القرآن الكريم

وأحاديث الرسول ﷺ تهدف إلى تكوين المرأة المسلمة خلقا وعلما وسلوكا، وتوضح لها كيف تقيم حياتها على هذه الأرض في إطار من الإنسانية العامة المتمثلة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات].

وباستعراض منهج التربية الإلهي - القرآن الكريم والسنة النبوية - فإنه يمكن القول بأن تربية مسلمة صدر الإسلام قد اشتملت على **جانبين: نظري وعملي**. وكلا الجانبين قد عملا جنبا إلى جنب، وذلك من أجل تحقيق الأهداف التالية:

١ - إمدادها بما تحتاج إليه من معلومات عن حقائق النشأة والحياة والمصير.

٢ - توجيهها إلى إدراك سنن الله سبحانه وتعالى في الآفاق والأنفس.

٣ - تربية إرادتها بما يعينها على الارتقاء بنفسها ويحميها من الآفات النفسية.

٤ - إصلاح جوانب الخلل الاجتماعي في البيئة المنحرفة عن هداية الله [1].

* * *

(١) انظر في هذا الموضوع: منهج التربية الإسلامية للدكتور الكيلاني.

obeikandl.com